واضح أبدا لليهود المقيمين في اسرائيل قبل حرب الايـام الستة ، فانه أصبح بعدهـا واضحا تماما . فقد حولت الصهيونية ، او ، لزيادة الدقة ، الزعامة الصهيونية ، اليهود في دولة اسرائيل الكبرى الى شعب من الاسياد وفق النمط الكلاسيكي ، ومع كل العلامات الفارقة للاستعمار الاستيطاني والاضطهاد الاوروبي ضد شعوب العالـم الثالث . كل ذلك بدعم رأس المال الاميركي والسلاح الاميركي .

لقد قدمت المناطق المحتلة حديثا والممتدة على مساحة تزيد كذا ضعف عن المسـاحة السابقة ، والتي يستوطنها ما يزيد عن المليون عربي ، للاقتصاد الاسرائيلي أيد عاملة عربية من ناحية ، وقدمت من الناحية الثانية سوقا كبيرة للمنتجات . ويتم كل ذلك في ظل حكم عسكري يمنع عن هؤلاء المواطنين كل امكانية لمقاومة هذا الوضع او رفضه . ولكن الحقائق الجافة ، كالعادة ، لا تكفي للوصول الى فهم دقيق للوضـع بل يمكن التوصل لمثل هذا الفهم من خلال نظرتنا الى قضية اللاجئين في غزة . في سنة ١٩٤٨ — ١٩٥٠ ، طردتهم الصهيونية من المجدل على سبيل المثال ، وحولتهم الى معدمين يسكنون في أكواخ لا تليق حتى بالحيوانات . واليوم ، وبعد عشرين سنة ، جاءت (الصهيونية) لاتمام المهمة ، لاستخدامهم كعبيد لاقتصادها . وعندمـا يتجاسرون لرفع رؤوسهـم للمعارضة ، يدخلون لهم حرس الحدود والجرافات وينكلون بهم . ان حكومة اسرائيل تعرض اليهود أمام أعين العرب في المناطق القديمة (المحتلة سابقا) والجديدة ، وفي الشرق العربي بكامله ، على انهم محتلون « أصحاب عمل »* ومضطهدون (بكسر الهاء). ان هذا الوضع يخلق هوة من الكراهية تتعمق وتتسع مع كل يوم يمر ، اذ انه مـن الواضح تماما ماذا سيكون عليه رد أولئك العرب — اللاجئـين في غزة على كل ما يعاملون به : قتل اليهود . وهذا هو بالضبط ما يحاولون القيام به . وحكومة اسرائيل ترد عليهم باللغة الوحيدة التي لديها « قوة جيش الدفاع الاسرائيلي الرادعة » ، وهي طبعا التي تجعل مقاومة الجانب العربي أكثر حدة ، وهكذا الى ما لا نهاية .

ان الدرس الذي تعلمته من تاريخ صراع المضطهدين (بفتح الهاء) من أجل التحرير ، هو انه ليس هناك اي نظام حكم أو دولة صمدت زمنا طويلا في هـذا الوضع . كل الامبراطوريات الكبيرة ، التي كان يبدو انها ستصمد بقوة حرابها الى الابد قد اختفت ، نزلت من على مسرح التاريخ . وأنا كشيوعي مقتنع بذلك دون أدنى شك . ان صراع المضطهدين (بفتح الهاء) عادل وسينتصر في نهاية المطاف . وفي ذلك اليوم ، وربما قبل ذلك بكثير ، اذا لم يتغير شيء في الوسط اليهودي في اسرائيل ، فسيكون مصير اليهود هنا سيئا ومريرا . انهم سيضطرون الى دفع ثمن غال جدا لاعمالهم ، بل حتى لسكوتهم في حال كونهم غير مشاركين عمليا في كل أعمال الصهيونية . ان وعي هذا الواقع الاعوج يجعل من الصعب التسليم به (أو الجلوس بهدوء) .

ومن المهم التأكيد انه ليس صدفة ان كل نشاطي السياسي ، وليس نشاطي أنا فقط ، قد أصبح مكثفا الى درجة كبيرة بعد حرب الايام الستة ، حيث نشأ وضع دولة محتلة ، وضع يضيف مع كل يوم يمر حقائق لا نهاية لها تعزز آرائي . وكما ذكرت ان نظرتي (فلسفتي) الى الصهيونية ، هي جزء من نظرتي الى العالم بشكل عام ، وحرب الايام الستة لم تغير ولم تحدد شيئا بشكل أساسي .

ما العمل ؟ كرد على هذا السؤال وضع لينين كتابا كاملا تقريبا ، أمـا أنا فسأحاول الاكتفاء بأقل من ذلك . الشيء الاول : ماذا تقترح الاحزاب أن يعمل ، وماذا تقترح المنظمات الشيوعية في اسرائيل ، راكاح — الحزب الشيوعي المؤيد للاتحاد السوفياتي ، وهو وفي للخط الروسي في التعايش السلمي ، ويسلم ، بل حتى يؤيد دولة اسرائيل الـ ٤

* ربما كان المقصود « مستعبدون » (بكسر الباء) .